٣

ضربة مقلاع

بقلم

عاطف عبد الفتاح

رسوم

عبد الرحمن بكر

دار

التقوى

للنشر والتوزيع

٨ شارع زكي عبد العاطي من شارع عمر بن الخطاب
عرب جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ص . ب : ٦٧١ العتبة - كود ١١٥١١ ت : ٢٩٨٩٩٤٣

ضربة مقلاع

في بلدة اسمها « صوف »

اجتمع جماعةٌ من بني إسرائيلَ ، وقد ظهر علي وجوههم أنهم جادون جداً ، وغاضبون جداً .

وقال أحدُهم : منذ توفي نبيُ اللهِ موسي ، ونحن ننتقلُ من حالٍ سيءٍ إلي أسوأ منه .

قال رجلٌ ثانٍ : وإنَّ ضياعَ التابوت منا معناه هزيمتُنا .

فقال رجلٌ ثالثٌ : لقد كان ينشرُ في قلوبنا الاطمئنانَ ، وينشرُ في قلوب أعدائنا الرعب .

فقال رابعٌ : لقد أخذه منا عمالقةُ فلسطينَ ، وأخذوا ما فيه : عصا موسي وملابسُهُ ، وعصا هارونَ وملابسه ، وبقايا الألواحِ . ونحن السببُ ؛ لأننا استهنا بالمعاصي ، وابتعدنا عن شريعتنا .

وقال رجلٌ خامسٌ : لقد استبدّ عمالقةُ فلسطينَ ، وطردونا من ديارِنا ، وحرمونا من أولادِنا .

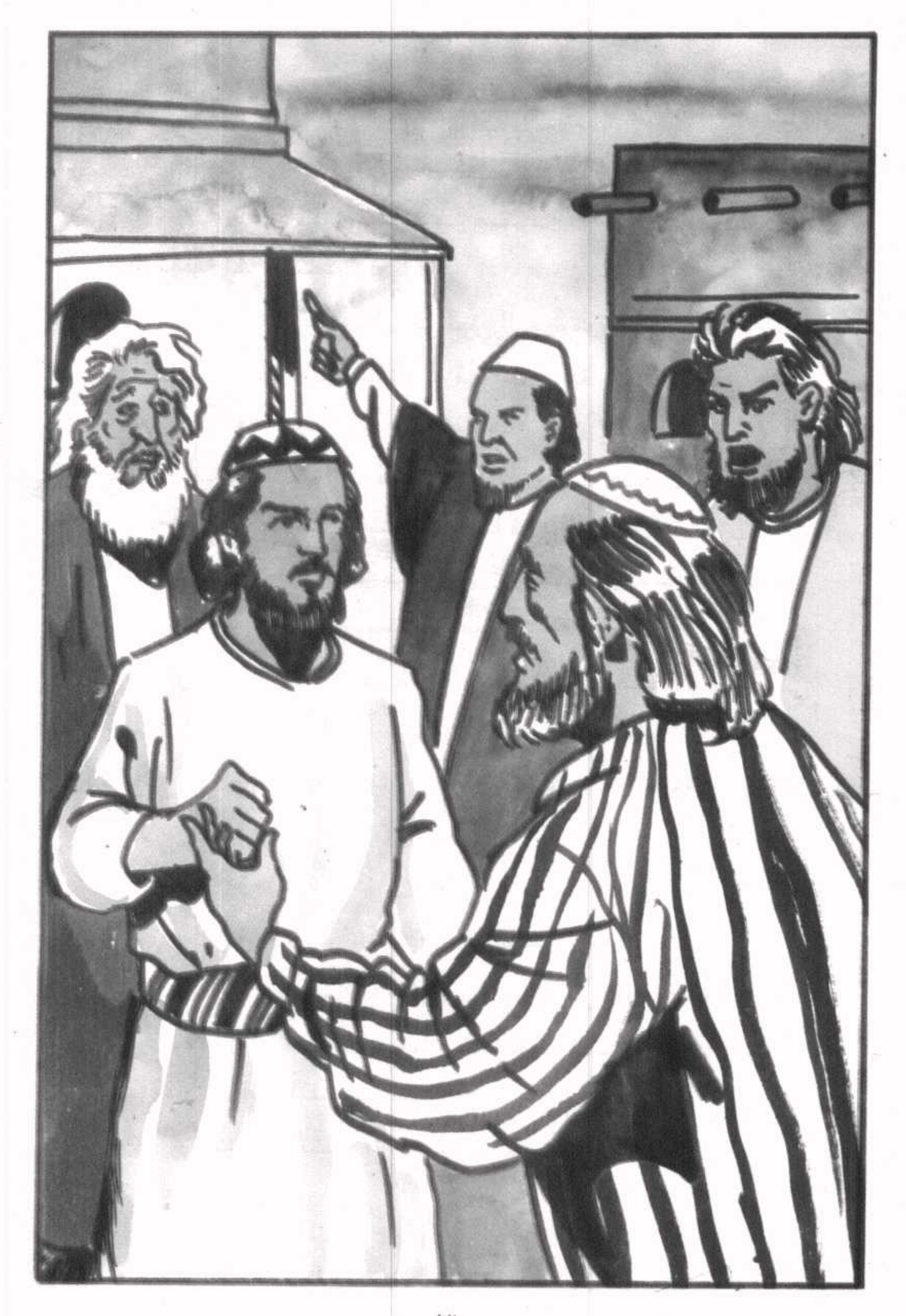
فقال الأول : حتي متي سنرضي بالذلِ ؟

وقال الرابعُ : هيا بنا نذهب إلي نبِّى اللهِ صمويل .

فقال الثاني : نعم ، نطلبُ منه أن يختارَ لنا ملكاً .

وقال الثالثُ : حقاً .. الجهاد يا قومنَا .. لا حلَّ إلا بالجهاد .

قال الأولُ : ويعودُ بنو إسرائيل أعزةً كما كانوا .



فقال الرابع : ولكن كيف نقاتل وليس معنا التابوتُ ؟

قال الخامس : نطلبُ من صمويلَ أن نقاتلَ . وسيخبرُنا بما نفعلهُ لكي ننتصرَ .

وذهب هؤلاء الرجالُ إلي نبيِّ اللهِ صمويلَ .

بعيداً عن هذه البلدةِ .. وفي إحدي القري الجبليةِ .. هناك كان رجلٌ يعبدُ اللهَ ، ويرعي غنَم أبيه ، ويزرعُ أرضه .

وبينما الرجلُ يرعي الغنَم هربت منه حميره ، فجري وراءها هو وغلامهُ ، وبحثا عنها في الأوديةِ والهضاب ، فلم يجداها . وابتعَد الإثنانِ كثيراً عن قريتهما ، ويئسا من العثورِ علي الحمير ، فجلسا ليستريحا قليلاً .

وبعد أن استراحا ، قال الرجلُ لغلامه : هيا بنا نعودُ إلي أبي .. لقد ابتعدْنا كثيراً .. يبدو أننا لن نجدَ الحميرَ .

فقال الغلامُ له : إننا الآن بالقرب من بلدة « صوف » موطن نبيِّ الله صمويلَ .

قال الرجلُ : تقصدُ أن نسأله ؟

قال الغلامُ : نعم يا سيدي .. إن صمويلَ يُوحي إليه .

وافقَ الرجلُ علي هذا الرأيِ ، وسارا إلي بلدة « صوف » ..

وقابل الرجل وغلامه في طريقهما فتيات فسألاهنَّ عن صمويلَ ، فقالت الفتياتُ لهما :

إن الشعبَ ينتظرُه .. سيخطبُ في الشعبِ اليوم .



وفجأةً ظهر أمام صمويلَ الرجل وغلامه .. فالتقتْ عينا الرجل بعيني صمويلَ لأولِ مرةٍ .. وأحسَّ كلُّ واحدٍ منهما أنه يعرفُ الآخر .

اقترب الرجلُ من صمويلَ ، وقال له : لقد جئتُك يا نبيَّ اللهِ مستوضحاً .. لقد تاهتْ مني حميرٌ في الجبلِ ، وإنّ أبي الآن قَلِقٌ علينا جداً .

فسأله صمويلُ عن اسمِه ، فقال الرجلُ : اسمي طالوتُ .

فأخبَره صمويلُ أن الحميرَ في طريقها إلي أبيه ، وطلبَ منه أن يحضَرَ معَه إلي الناسِ الذين تجمعوا . . .

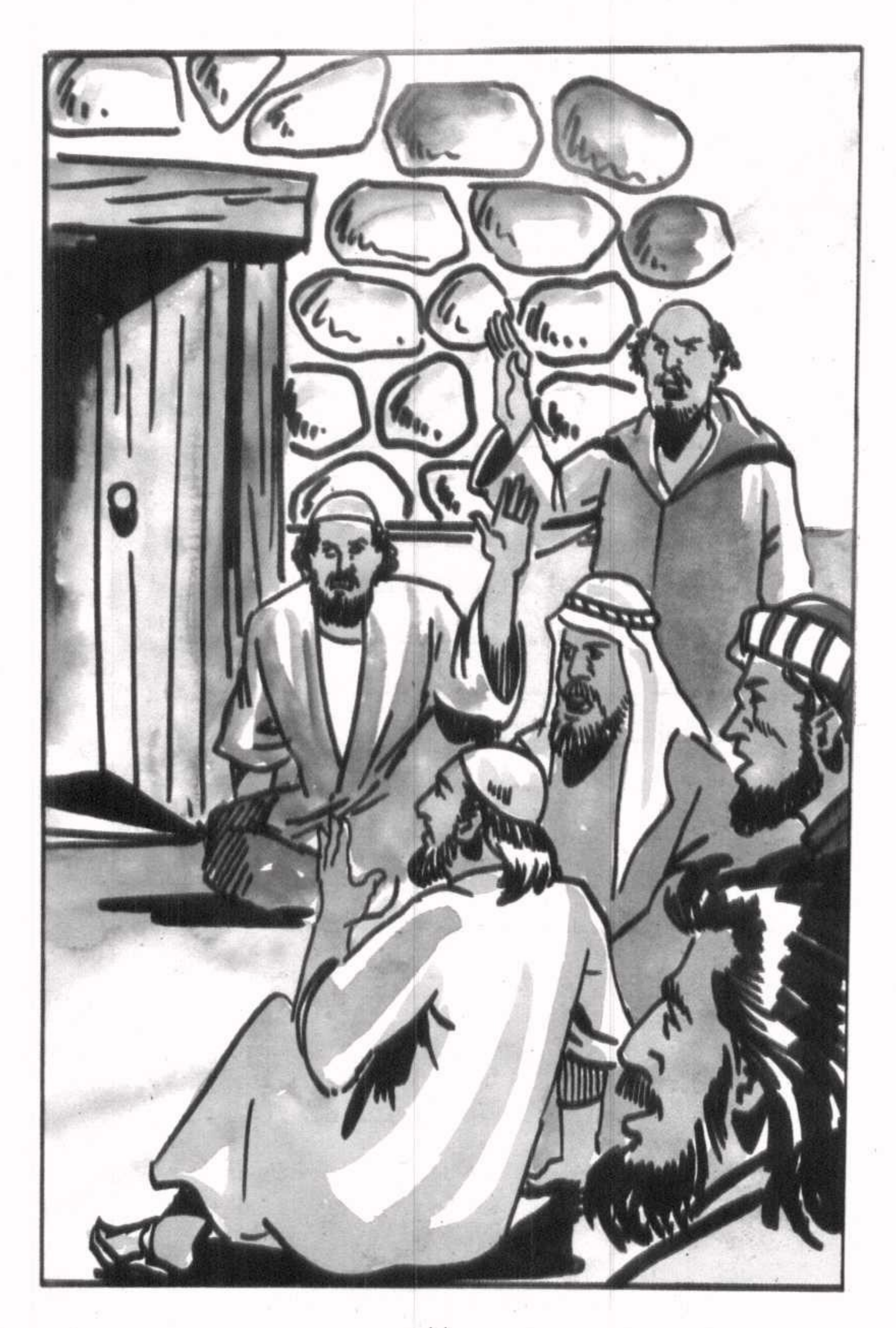
وقف صمويلُ أمام الناسِ ، ووقف بجوارِه طالوتُ .. نظر الناسُ ، فتعجبوا ، وتساءلوا : من هذا الرجلُ ؟

لم تطلْ دهشةُ الناسِ ، فقد أخبرهم صمويلُ أن الله اختارَ لهم طالوتَ ليكون ملكهم في حربهم ضد الفلسطينيين .

وانتشرتْ الدهشةُ بين جموع الناس . كلُّ واحدٍ يسأل : من طالوتُ هذا ؟! . وكيف يكون ملكنا وهو ليسَ من الأغنياءِ ؟!

إنه ليسَ من نسل لاوي ، الذين منهم الأنبياءُ ، ولا من نسل يهوذا ، الذين فيهم الملكُ والرياسةُ . بل هو من نسلِ بنيامين ، وهم أقلُّ الأسباطِ مالاً وذكراً .

ولما رأي صمويلُ إصرارَ الناسِ علي رأيهم ، أخبرهم أن اللهَ هو الذي اختارَه ؛ لأنه علي درجةٍ عاليةٍ في العلم والجسمِ ، وهاتان هما أهم صفتينِ للحاكمِ .



فماذا يفيد المالُ إذا كان الحاكمُ متخلفَ الذهنِ ، أو بطيءَ الفهمِ ؟ وماذا يفيدُ المالُ إذا كان الحاكمُ ضعيفَ الجسم محنيَّ الظهرِ ، ليستْ له مهابةٌ ؟ لقد فضلَ اللهُ طالوتَ بهاتين الصفتين لكي يقودَكم في حربِكم ضد العمالقة .

وحذر صمويلُ بني إسرائيل إذا لم يطيعوا أمر الله . وقالَ لهم : « واللهُ يؤتي ملكه منْ يشاءُ » .

وأعطاهم علامةً بها تطمئنُ قلوبُهم ، وهي أن التابوتَ الذي ضاعَ منهم ، سيعودُ إليهم ، تحملهُ الملائكةُ .

وخرجَ الناسُ إلي أبوابِ البلدةِ ، فصاحوا بسعادةٍ : ها هو التابوتُ .. إن طالوتَ ملكُنا حقًّا . وبايعوا طالوتَ بالحكم .

ما إن تولَّي طالوتُ الحكم ، حتي بدأ في إعدادِ الجيشِ .

وبعدَ مدةٍ .. وقف طالوتُ أمام جيشه القويِّ المتماسكِ .. إنه الآنَ يستطيعُ أن يحاربَ العمالقةَ ، فجيشُه مدربٌ أفضلَ تدريبٍ ، وعددُه كبيرٌ . وبدأ جيشُ طالوتَ يتحركُ .

وبينما الجيشُ يسيرُ ، قال لهم طالوتُ : إن الله سيختبركم . . فلا تفشلوا في هذا الاختبارِ .. سنمرُ بنهرٍ . . وكلنا عطشي .. من شربَ من هذا النهرِ ، فليسَ من أصحابي في هذه الحربِ .. ومن لم يشربْ فهو من أصحابي . ومن غرفَ غرفةً واحدةً ، سامحناهُ .

ولما رأي الناسُ النَهر ، أسرعوا يتسابقون إلي الشربِ منه ، فشربوا إلا قليلاً منهم .

وعاد الذين شربوا إلي بيوتِهم .



وعبر الباقونَ النهرَ مع ملكهم طالوتَ .. ونزلوا إلي ساحةِ القتالِ .. وكان طالوتُ قد أرسل إلي بني إسرائيل في كلّ مكانٍ أن ينصروه في حربهِ ضدَ العمالقةِ .

مــا إن رأي بنو إســرائيل كــثــرة عــدد جــيشِ طالوتَ وضخامَتَهم حتي فر كثيرون ، وبقي مع طالوتَ قليلون .

وأثناء زحفِ جيش طالوت .. كان يعيشُ في بيت لحم غلامٌ من بني إسرائيل مع أبيه وإخوته . هذا الغلامُ اسمهُ داودُ .

كان داودُ من أتقي الناسِ ، وأكثرهم عبادةً لله .

وها هو يعودُ إلي بيته ، فيجتمع هو وإخوته أمام أبيهم ، فيقولُ أبوهم :

لقد قامت الحربُ بين بني إسرائيل والعمالقةِ . ويجبُ أن نقاتلَ مع بني إسَرائيل .

كل واحد منكم يا أبنائي يأخذُ سلاحهُ ، ويخرجُ لنصر إخواننا .

قال داود : وأنا يا أبي .

فنظر الأب إليه بعينِ العطفِ ، وقال : لا يا بني .. أنتَ صغيرٌ .. لن تحاربَ .

فحزن داودُ ، لكنَّ الأب قال له : نصيبُك في الجهاد أن تحمل الطعام لإخوانك ، وأن تجيءَ إليَّ أثناء الحرب لتعرِّفني الأخبار . أما ساحةُ الحربِ فلا تقرْبها .

وسارَ الغلامُ مع إخوته ، وحملَ في يده مِقلاعاً وحمل



حجراً صغيراً ، بينما كان إخوتهُ يحملون السيوفَ ، ويلبسون الدروعَ .

ما إن وصل داودُ إلي ساحةِ القتالِ حتي رأي رجلاً ضخماً يركبُ حصانَه ، ويقفُ في وسطِ الساحةِ بغطرسةٍ ويصيحُ : هيا .. من يبارزُني ؟ هيا أيها الجبناءُ .

كان الرجلُ الضخمُ مخيفاً ويلبس خوذة ضخمة ، وحولَه سقطَ رجالٌ كثيرون .. قضي عليهم بسيفِه .

كررَ الرجلُ العملاقُ : تقدموا يا بني إسرائيلَ .. أروني شجاعَتَكُمْ .

وكان الناسُ جميعهم خائفين منه ، فلم يتقدمْ أحدٌ لمبارزتهِ ، فتضايق داودُ ؛ لأنَّ كافراً يتعالي علي بني إسرائيل .

وأعلنَ طالوتُ في جيشهِ أنَّ منْ يقتلُ جالوتَ سيتزوج ابنةَ طالوتَ ، ويتولي الحكمَ من بعدِه . لكنَّ أحداً لم يتقدمْ من الجيش .

ووسط خوف وذهولِ الناسِ جميعهم ، تقدَّمَ الغلامُ داودُ ، وقال لطالوتَ إنه سيقتلُ جالوتَ .

نظر طالوتُ إلي داودَ ، فرآه صغيراً ، فخشي عليه من جالوتَ وردَّه .

لكنّ داودَ أصرَّ علي أن يقاتلَ جالوتَ . فتعجب طالوتُ من شجاعةِ داودَ ، وظنَّ أنه ضعيفٌ ؛ لأن جسمه صغيرٌ ، ولم يكنْ طالوتُ يعرفُ أن اللهَ أعطي داودَ قوةً خارقةً ، تقضي علي ألفِ جالوت ، وتقهرُ جيشاً كاملاً .



فلما سأله طالوتُ : هل جربتَ الحربَ من قبلُ يا بني ؟

أجابه داودُ بأنَّه لم يجرب الحربَ من قبلُ . ولكنه عندما كان يرعي أغنامَ أبيه ، هجمَ أسدٌ علي غنمه ، فأسرعَ داودُ خلفَ الأسد كالسهمِ المنطلقِ ، وقفزَ عليه بشجاعةٍ ، وارتفعَ زئيرُ الأسدِ ، وغطَّي الغبارُ كلاً من داودَ والأسد .. وبعدَ لحظةٍ كان داودُ يقومُ ، ينفضُ يديه .. وخلفه الأسدُ ينزفُ دماً . كما أنَّه صارعَ دبًّا شرساً جداً ، واستطاعَ بكلِّ بساطةٍ أن يقضي عليه ، ويعودَ إلي بيته بكلِّ هدوءٍ .

لما سمع طالوتُ هذا الكلامَ ، قال لداودَ : إن كانَ ما قلته صحيحاً ، فاذهبْ يا بني ، وقاتل جالوتَ .

فرح داودُ جدًّا ، وقبل أن يذهب خلعَ طالوتُ درعه ، وأعطاه لداودُ ، وناولَه سيفه أيضاً .

ولبس داودُ الدرعَ ، ولكنه خلعهُ ؛ لأنه ثقيلٌ علي جسدِه ، كما أنه تركَ سيفَ طالوتَ ، وفضَّل أن يذهبَ إلي جالوتَ ، ويقاتلهُ بالمقلاعِ . وكان أمرُ داودَ عجيباً حقًّا .

نظر جالوتُ من بعيدٍ ، فرأي غلاماً من جيشِ طالوتَ يتقدمُ ناحيةَ جالوتَ .

دهشَ جالوتُ لمنظر الغلامِ الذي لا يحملُ إلا مقلاعاً . وزادتْ دهشتهُ عندما رأي الغلامَ يتقدمُ بقوةٍ وشجاعةٍ لمقاتلة جالوت .

اقتربَ داودُ من جالوتَ ، فنظر جالوتُ إلي داودَ بسخريةٍ ، وقال له :



هل أنتَ الذي سيبارزُني ؟! ألم يجدوا غيرك ؟! ما هذا الذي تحملُه ؟! مقلاعاً ؟! هل تطاردُ به كلباً ، أم تلعبُ به مع الغلمانِ ؟!

يبدو أنك كرهتَ الحياةَ ، وأردت أن تموتَ علي يديَّ .

كان جالوتُ يتكلمُ ، بينما كانَ داودُ يضعَ الحجارةَ في مقلاعِه ، ويرددُ بعضَ الأدعية بصوتِه الجميل .

قال جالوتُ وهو ينحني علي داودَ : ماذا تفعلُ ؟ سأحملُك بيدي ، وأرمي بكَ بعيداً .

ومدَّ جالوتُ يدَه ليحملَ داودَ ، ففوجيءَ بضربةٍ عنيفةٍ ، وصرخَ صرخةً رجتْ ساحةَ المعركةِ كلِّها : آااه ...

وسقطَ جالوتُ علي الأرضِ ، وهتف جيشُ طالوتَ وهو يحصدُ جيشَ جالوتَ ..

وعادَ داودُ معَ طالوتَ ليتزوجَ ابنتهُ . وكم كانتْ سعادةُ طالوتَ أكثرَ من انتصاره علي العمالقةِ عندما عرفَ أن داودَ الذي سيتزوجُ ابنتهُ هو نبيٌّ من عندِ اللهِ .. إنه داودُ أبونبيِّ الله سليمانَ .

مطبعة الجبلاوى - ٢٠٢ شارع الترعة البولاقية - شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب ٨٣٥٥ / ١٩٩٦ I. S. B. N. 977 - 5242 - 22 - 3